قصص العظماء

(١)
إسكندر الأكبر

وُلِدَ الإِسْكَنْدَرُ فى « بلا » بِلادِ الْيُونَانِ سنة ٣٥٦ قَبْلَ الْمِيلادِ . وَكَانَ أَبُوهُ فيليبُ مَلِكًا عَلَى مَقْدُونْيَا (شَمالى بِلادِ الْيُونَانِ) . وَقَدْ عُنِىَ بِهِ أَشَدَّ عِنايَةٍ ؛ لأَنَّهُ لَمَسَ فِيهِ دَلائِلَ الْعَظَمَةِ ، وَعُلُوَّ الْهِمَّةِ ، وَحِدَّةَ الذَّكاءِ ، وَشَبَّ

إسكندر الأكبر

عَلَى تَصْرِيفِ الأُمُورِ ؛ وَعَنْ أُمِّهِ حُبَّ الْعَمَلِ وَالْهِمَّةَ الَّتِى لا تَعْرِفُ الْمَلَلَ ، من أَجْلِ ذلِكَ ، كَانَ الإِسْكَنْدَرُ مَزِيجًا مُوَفَّقًا من خِصالِ أَبِيهِ ، وَفَضَائِلِ أُمِّهِ ، فَنَشأَ شَدِيدَ الطُّمُوحِ إِلَى الْعَظَمَةِ وَالْمَجْدِ ، يَبْحَثُ عَنْهُما أَيْنَما كَانا .

الإِسْكَنْدَرُ ، كَمَا تَمَنَّى لَهُ أَبُوهُ ؛ وَكَمَا تَنَبَّأَ لَهُ النَّاسُ ؛ وَكَانَ مِنْ حَظِّهِ ، أَنْ تَلَقَّى عُلُومَهُ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، عَلَى « أَرِسْطَطَالِيسَ » أَكْبَرِ فَلاسِفَةِ الْيُونَانِ فى ذلِكَ الْعَصْرِ ! وَقَدْ وَرِثَ الإِسْكَنْدَرُ عَنْ أَبِيهِ ، الشَّجَاعَةَ الْخَارِقَةَ ، وَالْجُرْأَةَ النَّادِرَةَ ، مَعَ سَدادٍ فى الرَّأْىِ ، وَقُدْرَةٍ

وَكَانَ قَوِىَّ الذَّاكِرَةِ ؛ شَدِيدَ الْوَلُوعِ بِالتَّارِيخِ ؛ وَلَقَدْ قَرَأَ قِصَصَ أَبْطَالِ الْيُونَانِ ، فَتَشَبَّعَتْ نَفْسُهُ بِرُوحِ الْبُطُولَةِ ؛ وَحُبِّ الْمُغامَراتِ ؛ وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَطَلاً عَظِيمًا مِثْلَهُمْ ، بَاقِىَ الذِّكْرِ خَالِدَ الأَثَرِ .

وَصَارَ الإِسْكَنْدَرُ مَلِكًا ، وَهُوَ فى سِنِّ

العشرين ، بعد اغتيال أبيه ، فأخذ يصرف شئون بلاده بحزم جدير بمن كان أكبر سنا ؛ وأوفر عقلا وعلما . وخيل لأهل المدن التى كان يحكمها أبوه ؛ والتى آلت إليه ، كطيبة وإسبارتة وأثينا ، أن الفرصة سانحة لهم ، لنيل استقلالهم واسترجاع حريتهم ؛ التى اغتصبها « فيليب » والد الإسكندر ؛ فأعدوا العدة للثورة ؛ وكادوا يقومون بها ؛ لولا أن باغتهم الإسكندر على رأس جيش كبير ، فقضى على آمالهم ؛ وهى لاتزال فى قرارة نفوسهم ؛ واضطروا لتقديم خضوعهم !! معتذرين !! نادمين على ما صدر منهم ! فكف عن إيذائهم ؛ ولم يشأ أن يقسو فى الحكم عليهم ! واكتفى بأن أعلن الملأ بأنه سيد بلاد اليونان جميعا ! وأنه القائد الأعلى ، لجيوشها الظافرة ! ! وأنه سوف ينتقم من بلاد فارس ، التى كانت العدو اللدود لبلاد اليونان فى ذلك الوقت .

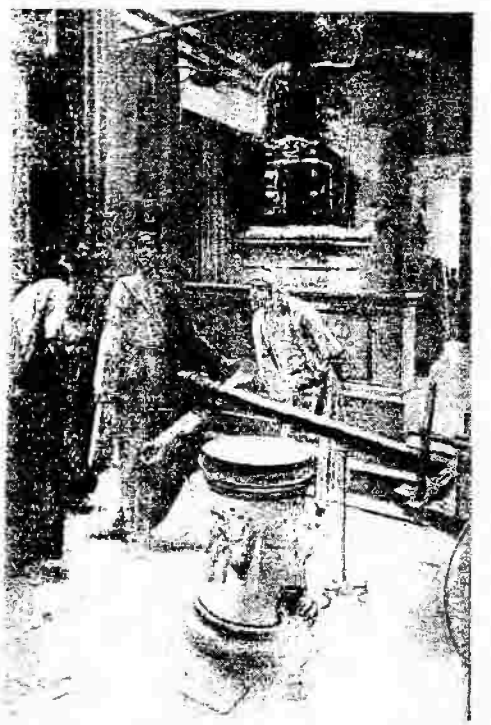

إذن فتحل العقدة هكذا ...

وحدث فى أثناء ذلك أن ثارت القبائل التى تسكن الجبال فى شمالى بلاد اليونان ؛ فزحف إليها ليخمد فتنتها ؛ وكادت أخباره تنقطع ، حينا من الدهر ؛ فظن الناس أنه هلك !! فعمد أهل « طيبة » و « إسبارتة » إلى الثورة !! وهبوا ؛ مرة أخرى ، يطلبون استقلالهم !! وهم موقنون بأنهم فى مأمن من الإسكندر وجلاله ؛ ولكن الإسكندر كان أسبق إليهم مما كانوا يتوقعون !! إذ ظهر فجاءة أمام أسوار « طيبة » فدخلها !! ثم أمر بهدمها عن آخرها !! جزاء لها على

عصيانها ؛ ولم يُبقِ على شيء فيها ، إلا منزل الشاعرِ العظيمِ « بِندار » . وكان هذا الدرسُ كافياً لإخضاعِ بلادِ اليونانِ جميعاً .

إسكندر في إحدى مواقعه مع الفرس

بعدَ ذلك ؛ أعدَّ الإسكندرُ جيشَهُ للزحفِ على بلادِ فارسَ بآسيا . وكانتْ في ذلكَ العصرِ ، أقوى دولِ العالَمِ ، واستطاعَ الإسكندرُ ، بما كانَ لهُ منَ الخبرةِ الحربيَّةِ ، وبما أبداهُ رجالُهُ منَ الشجاعةِ والإقدامِ ؛ أن يهزمَ جيوشَ الفرسِ في موقعةٍ هائلةٍ ، خسِرَ فيها الإسكندرُ تسعينَ رجلاً ، بينما فقدَ الفرسُ جميعَ رجالِهِمْ ، بينَ أسرٍ وقتلٍ . وكانتْ تلكَ المعركةُ كافيةً لأنْ تُلقيَ الرعبَ والفزعَ في قلوبِ المدنِ جميعِها ، فدانتْ لهُ الواحدةُ تلوَ الأخرى ، مِنْ دونِ أيَّةِ مقاومةٍ ! !

ومرَّ الإسكندرُ في طريقِهِ ببلدةٍ تُدعى « جوردِيم » . وكانَ بمتحفِ تلكَ المدينةِ عربةٌ قديمةٌ تُعرفُ « بعربةِ جورديس » . وكانَ في نهايةِ (عريشِ) تلكَ العربةِ ، عُقدةٌ عجيبةٌ مُلتويةٌ تُعرفُ « بعقدةِ جُوردِيم » . وكانَ الاعتقادُ السائدُ في ذلكَ العصرِ أنَّ مَنْ يحُلُّ

إسكندر يتقرب إلى بعض الآلهة بتقديم القرابين

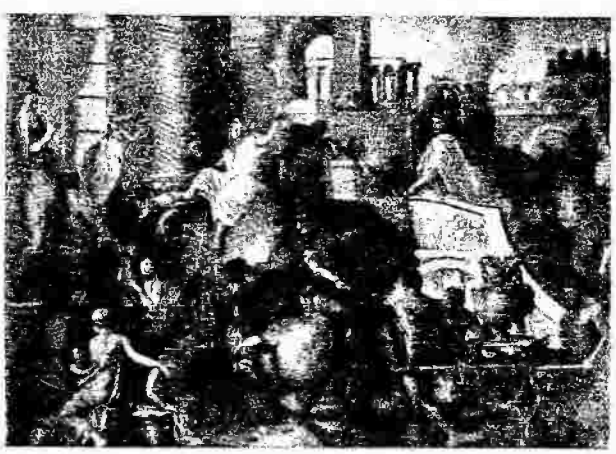

تلكَ العقدةَ ، يُصبحُ سيِّدَ آسيا . وعُرِضَتِ العقدةُ على الإسكندرِ ؛ وحاولَ أنْ يحُلَّها

ولكنْ من دُونِ جدْوَى ! ولما عجزَ عنْ فكها بيدِه ، أمسكَ بسيفِهِ ، فشطرَ العقْدَةَ نصفَيْن قائلاً : « إذنْ ! فلْتُحلّ هكذا ! ! » ، وكانَ ذلكَ الحَلُّ السَّريعَ الجرىء ؛ قد حمَلَ النَّاسَ عَلَى الاعتِقَادِ بأنَّ الإسكندَرَ ، سيكونُ سيِّدَ آسْيَا ! وقد كانَ .

وَواصَلَ الإسكَنْدرُ زحفَهُ ، يهزمُ الفُرْسَ حيثُ لاقاهُمْ ، حتى قضى عَلَى جيُوشِهِمْ قضاءً حاسِماً .

وَبعدَ ذلكَ ، زحفَ عَلَى الشَّامِ فأخضَعَها لِسُلْطانِهِ . وهنا وَصَلَ إلى الإسكندرِ ، رَسُولٌ من قِبَلِ « دارْيَسْ » مَلِكِ الفُرْسِ ، يعرِضُ شُرُوطًا للصُّلْحِ ؛ منها أنْ يتزوّجَ الإسكَنْدرُ ابنةَ المَلِكِ وأنْ يَكْتفِيَ بأخذِ الجُزْءِ الغربىِّ مِنْ أملاكِهِ الوَاسِعَةِ ؛ وتَصادَفَ أنْ كانَ مَعَ الإسكَندَرِ ، والرَّسُولُ فى حضْرَتِهِ ، أحدُ قُوّادِهِ يُدعَى « بارمينيو » . فقالَ بارمينيو مُخاطِبًا الإسكَنْدرَ : « يا سيّدِى ! لَوْ كُنْتُ أنا الإسكَنْدرَ ، لَقَبِلْتُ تِلْكَ الشُّرُوطَ ! ! »

فأجابَهُ الإسكَنْدرَ عَلَى الفوْرِ : « لَيْتَنِى كُنْتُ أنا بارمينيو ! ! إذنْ لقَبِلْتُها ؛ ولكنِّى أنا الإسكَنْدرُ ، فلا أقبلُها ! ! . »

وَبعدَ أنْ تمَّ لهُ إخضاعُ الشّامِ ؛ زحَفَ إلَى مِصْرَ ؛ وأسَّس ميناء الإسكندرِيَّةِ الجميلةِ ؛ وزارَ ، فى أثناء ذلكَ ؛ معبداً لِلإلهِ آمُونَ ، الّذِى كانَ يَعْبُدُهُ المِصْريُّونَ فى ذلكَ العَصْرِ ! ! وهُناكَ أعلَنَ المَلأ ، أنَّ الإسكَنْدرَ ، لَيْسَ ابْنَ فيليبْ ، وإنَّما ابْنُ الإلهِ « زِيَسْ » . فتقبَّلَ الإسكَنْدرُ هذا الوَصْفَ بِسُرُورٍ شَديدٍ ، لأنهُ طالَما تمَنَّى أنْ يَقُولَ عنهُ النَّاسُ : إنَّهُ إلهٌ فيَعْبُدُوه . ولكنْ مُنذُ ذلكَ الحِينِ ؛ بَدأ الكبرياءُ وَالغُرُورُ ؛ يَدِبَّانِ فى نَفْسِ الإسكَنْدرِ ؛ مِمَّا كانَ لَهُ أسْوأُ الأثرِ فى حيَاتِهِ فيما بَعْدُ . حتَّى لقدْ أهلَكَ كثيراً مِنْ أصْدِقائِهِ المُقرَّبينَ المُخْلِصِينَ ، مُفضّلاً بذلكَ إشْباعَ غُرُورِه عَلَى التَّمسُّكِ بِمَنْ رَفَعُوا شأنَهُ وأعلَوْا مِنْ ذِكْرِهِ .

(يتبع)